تحقيق معنى لا إله إلا الله

..... فالمؤلف -رحمه الله- دعاهم إلى تحقيق كلمة: لا إله إلا الله. وبَيَّنَ لهم معنى الإله، وبَيَّنَ لهم معنى العبادة، وبَيَّنَ لهم معنى الشرك. فَبَيَّنَ أن الشرك: هو أن يُجْعَلَ لله شريكٌ في نوع من العبادة من أنواعها الكثيرة. مَنْ صَرَفَ منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر. وأنه مُشْتَقٌّ من الاشتراك: وهو أن تجعل الدعاء مُشْتَرَكًا.. بعضه لله، وبعضه لِلْوَلِيِّ، أو تجعل الخوف مشتركا.. بعضه تخاف من الله، وتخاف من ذلك الولي على حَدٍّ سواء، يقول ابن القيم في النونية: والشرك فاحذره فشركٌ ظاهرٌ ذا القسم ليس بقابلِ الغفرانِ وهو اتخاذ الند للرحمن أيـ يا كان من حجر, ومن إنسانِ يدعوه, أو يرجوه, ثم يخافه ويحبه كمحبة الدَّيَّانِ فهذا هو الشرك الظاهر، أي: الشرك الْجَلِيُّ؛ فهم لا يعتقدون أن دعاء المخلوق شركا؛ وإنما يسمونه توسلا، وتبركا، واستشفاعا، ويقولون مثل ما يقول المشركون الأولون الذين يقولون: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } ولكنهم ما سموا دعاءهم عبادة، يقولون: ندعوهم؛ حتى يقربوننا إلى الله! نحن مذنبون! ونحن بعيدون! أبعدتنا خطايانا، وهؤلاء أولياء لله، وهؤلاء أحبابه وأصفياؤه، وهؤلاء الْمُقَرَّبُون عنده، فأين نحن منهم؟! نحن بعيدون أن نكون مثلهم؛ فلذلك صاروا يجعلونهم وسائط، أي: واسطة بينهم وبين الله -تعالى- هذا سبب شركهم. فَيُقَال لهم: أليس الله -تعالى- هو السميع البصير؟ لا يخفى عليه شيء من أمر العباد، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، سميع لأقوالهم، عليم بأعمالهم، بصير بأماكنهم، لا يخفى عليه شيء منهم؛ فلماذا لا تدعونه وحده، ليس ربنا بحاجة إلى أن تجعلوا بينكم وبينه وسائط؛ فإن الذين جعلوا الوسائط كَفَّرَهُمُ الله، الذين قالوا: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } فأنتم مثلهم؛ إلا أنكم ما سَمَّيْتُمْ فعلكم عبادة، وهو في الحقيقة عبادة! هنا يغيره! تغيير الأسماء.. أنتم وإياهم على حد سواء في أنكم جميعا تقولون: ما نعبدهم، أو ما نتقرب إليهم؛ إلا لأجل أن يُتَبَرَّكَ بهم؛ ولأجل أن يقربونا؛ ولأجل أن يتوسطوا لنا عند الله -تعالى-. يضربون مثلا بملوك الدنيا، يقولون: إذا كان لك حاجة إلى أية ملك من الملوك، أو أمير، أو وزير؛ فإنك تحتاج إلى وسائط، تحتاج إلى واسطة قوية، يُدْخِلُكَ على ذلك الأمير أو الملك؛ ويكلمه لك من الأقارب الذين يعرفهم، فيجعلون هؤلاء الأولياء -في زعمهم- والأنبياء، والسادة، ونحوهم، يجعلونهم بمنزلة وسطاء الملوك، والأمراء، ونحوهم. وهذا تشبيه بعيد، ليس بصحيح. الملوك بشر لم يخرجوا عن كونهم بشرا من جملة الناس، وأما الرب -سبحانه وتعالى- فإنه يعلم أحوالكم، ويعلم أسراركم وضمائركم، ويعلم ما تُكِنُّهُ صدوركم وما تخفيه نفوسكم؛ فلا حاجة إلى أن تتخذوا واسطة، ولا أن تتخذوا وسيلة، ولا أن تجعلوا بينكم وبينه وسائط؛ بل ادعوه كما أمركم الله، الله -تعالى- يقول: { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } ولم يقل: ادعوا غيري واسطةً. ويخبر بأنه يراكم، يقول تعالى: { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ } . وبكل حال.. هذا دليل على أن المؤلف يقصد بيان معنى: لا إله إلا الله. وأن أهل زمانه -أو أكثرهم- على جهالة بهذه الشهادة؛ فكان من آثار جهالتهم.. أنهم وقعوا في الشرك، وهم يُسَمُّون ذلك بغير اسمه؛ فأشركوا بالله، وبُيِّنَ لهم فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة. نتوقف هنا -إن شاء الله- ونقرأ غدا -إن شاء الله- من الساعة الخامسة من حيث وصلنا هنا. "فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات".